مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.29 (NO. 119) 2023, pp. 725-745

اللوعة والألم في الأدب المصري القديم

أ.م.د انتصار ناجي عبد زنكي
كلية الاثار / جامعة الكوفة
Intisarn.alzinkee@uokufa.edu.iq
07813253101

مستخلص البحث:
ظلّت مشاعر اللوعة بمعناها الحسي والجسدي ، الألم بمفاهيمه النفسية والجسدية ، مظهر من مظاهر التذمر أو أقل شكلاً من اشكال الإحساس بالظلم، ظلت القيم الأدبية السائدة في بعض المجتمعات البدائية الى كونها نوعاً من انواع الضرر الجسدي ، بينما يبدو في غيرها من المجتمعات كنوع من انواع التحدي ، وهكذا تُعّد القيم السائدة في المجتمع وبين الأفراد دافعاً للاستجابة للتجارب السابقة والمجتمع المصري، حاله حال المجتمعات الحضارية الأخرى، عاش حالات الصراع الداخلي والحضاري الخارجي ، الذي عبرت عنه خير تعبير العديد من النصوص الدينية والأدبية الإسطورية ، التي عكست نمطاً من أنماط الشكوى ، وعكست مظهرا من مظاهر الألم واللوعة.
الكلمات المفتاحية : الالم ، اللوعة، الادب المصري، الرثاء

المقدمة

ظلّت مشاعر اللوعة بمعناها الحسي والجسدي ، الألم بمفاهيمه النفسية والجسدية ، مظهر من مظاهر التذمر أو أقل شكلاً من اشكال الإحساس بالظلم ، الذي يظهر باشكال متعددة منها ، الشكوى . (1) ولقد ظلت القيم الأدبية السائدة في بعض المجتمعات البدائية الى كونها نوعاً من انواع الضرر الجسدي ، بينما يبدو في غيرها من المجتمعات كنوع من انواع التحدي ، وهكذا تُعّد القيم السائدة في المجتمع وبين الأفراد دافعاً للاستجابة للتجارب السابقة . (2) ممّا لا شكّ فيه ، إنّ الألم واللوعة ، فيه نوعا من انواع القيم الانسانية ، التي تظهر على الناس ، او تساهم في رسم شخصية الناس وفي التعبير عن مدى ارتفاع او انخفاض درجة استجابتهم للمعضلات الحضارية ، التي تواجههم ، وهي تعكس نوعاً من أنواع القيم السائدة . (3) ان اللوعة والألم والشكوى تُعد مسألة طبيعية كونها تعكس نوعاً من انواع الصراع الحضاري ، والتغير الحضاري الجزئي غير المنظم يظهر درجات اكبر من الاضطرابات النفسية الحقيقية في الشخصية .(4) إنّ الألم واللوعة تعتبر شكلاً من اشكال التوتر النفسي المُزمن وحالة من حالات الشكوى النفسية المختلفة . (5) وهي تعكس نوعاً من السلوك الانساني الحسي مِن (أدب وشعر) أو جسدي مِن (غضب وانفعال وتوتر) وكلا الحالتين يُعبر عنهما لغةً أو سلوكاً . والمجتمع المصري حاله حال المجتمعات الحضارية(الانسانية) الأخرى عاش حالات الصراع الداخلي و الخارجي ، الذي عبرت عنه العديد من النصوص الدينية والأدبية الإسطورية ، والتي عكست نمطاً من أنماط الشكوى ، وعكست مظهرا من مظاهر الألم واللوعة ، التي وسمت الشخصية المصرية طيلة فتراتها التاريخية . (6) والألم : **تعرِّفه كُتب عِلم النفس مِن أنّه عبارة عن تجربة حسيّة وعاطفية مرتبطة ، وهي تلك الآلية الموجودة لدى الفرد ، التي تهدف الى إخباره نمطاً مِن خطأ ما ، أو خطر ما ،أو تهديداً قد يصيبه . (7)** وربما كانت انواع الآلام مختلفة تبعاً لاسبابها الحسيّة والمادية وتبعاً لدوافعها العاطفية او العقلية ، لكن هذا لا يمنعنا من القول مِن أنّ الآلام ، أيّاً كانت انواعها تُنتج عنها اشكالاً من اشكال الحيرة والحزن واللوعة ، التي كثيراً ما يُعبر عنها تبعاً لمصادرها بما يتناسب مع حجم ونوع هذا الألم ومُبرراته . وتبقى اللوعة بمفهومها البشري شكلاً من

اشكال الحزن الخفي ، الذي كثيراً ما يُعبّر عنه حسيّاً عن طريق التذمر والشكوى ، والاشكال الاخرى للتعبير عن الحزن ، والبعض يعبر عنه عن طريق إعلاء حُسن الشكوى والتوسل والندب والتذمر .
(8) وعليه تعد اللوعة انعكاساً لحالات الألم او الضنك ، التي يعيشها المصري القديم ، والتي يكون الشكوى والحزن صورة من صورها الواضحة في العديد من الأنماط والأفعال السلوكية ، التي عبرت عنها العديد من الوثائق النصيّة . (9) وإنّ تعدُد أشكال اللوعة الحسيّة او المادية ، التي عاشتها المجتمعات المصرية ، إنّما كانت أمراً طبيعياً مرّت به البشرية ، ولكن الامر المُلفت للنظر ، أنّها اصبحت واحدة من ملامح شخصية المصري القديم . ويبدو ان الإحساس باللوعة والألم كان مظهراً سلوكياً طبيعياً للمصري القديم رغبة منه في الإحساس بالأمان والعدل ، وهو إحساس تجلّى على هيئة إستحسان او إستهجان اتجاه واقعة او حادثة ما . (10)

أولاً :الألم واللوعة بسبب الطبيعة (فيضانات النيل) :-

لقد كان ظلم الطبيعة للانسان المصري القديم واضحاً من خلال فيضان نهر النيل العظيم ، اذ عُدَّ فيضان النيل ذا أثر كبير على المصري القديم ، وكان من العوامل التي ساهمت في قلق المصري واشتداد الألم لديه ، لان النيل يأتي جامحاً في كل سنة ليغرق الأرض. (11)

ورغم لوعة المصري القديم على فيضان نهر النيل ، لكنه لا ييأس من رحمة هذه الطبيعة القاسية ، فهو يرسم خطته ويقيم الحدود ويحفر القنوات. وذلك حين تمُر الأزمة ويعود الى الطبيعة او النهر هدوءهما المعهود .... على الرغم من ان هذه القصة تتكرّر كل عام (12) الا ان مياه النيل عدت عامل مهم من عوامل الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع المصري القديم.(13)

إنّ الدلائل الاجتماعية العامة تشير الى ان الشعب المصري القدي الذي كان يعمل في الفلاحة ، وفيضان نهرالنيل او شحة مياهه كان لهما الأثر الكبير في حياته(14) .

لوعة وألم المصري وشكواه من فيضانات نهرالنيل أو شحة مياهه :

لقد ربط الكثير من الباحثين في التاريخ المصري القديم بين تغير الحالة المناخية في مصر وقلة مياهها او وفرتها ، انها من العوامل التي ساهمت في تدهور حضارته أو ازدهارها ، إذ ليس من شك ان قلة المياه من شأنه اصابة المحاصيل الزراعية بالإخفاق ، ومن ثمّ إنتشار المجاعة ، مما يُسفر عنه موجات وفترات مختلفة من الفوضى . (15) لقد ترك هذا الاضطراب بين الفلاح وبيئته ونهر النيل آثاراً قويّة في افكار المصريين وعقائدهم ، ينطق بها ما يُنسب لذلك العصر من آثار أدبية ودينية ، حيث ترسم لنا صوراً حزينة ومُراقبة لما ساد البلاد من فوضى ، وتصفها في عبارات تُعبّر عمّا أصاب المجتمع من ازمات و نكبات . (16) ولدينا كتابات عديدة تضمنت فيضانات النيل ومناسيبه ، حيث كانت مناسيب مياه الفيضانات تختلف في قوتها وتأثيرها في جهات الوادي النيل المختلفة .يقول في ذلك بلوتارك :

" كانت مياه الفيضان عند مفاوز جزيرة الفنتين تصل الى (28) ذراعاً (48) قدماً في حين انها كانت امام (منف) تصل الى (14) ذراعا فقط (24) قدماً ، كما كانت تصل قبل مصب احد فروع النيل في البحر المتوسط بقليل نحو (6) أذرع فقط (10) أقدام " .(17)

كما يذكر المؤرخ بليني :

" إنّ الفيضان إذ بلغ عند منف (12) ذراعاً ، فقد حدث جدب مروع ، أما إذا بلغ (13) ذراعاً أمِنَت البلاد شر الجدب ، وإذا بلغ (14) ذراعاً كان الفيضان متوسطاً ، وإذا بلغ (15) ذراعاً كفى متطلبات الزراعة ، وإذا بلغ (16) ذراعاً كان بهجة للنفوس . وقد حدث أعلى فيضان في التاريخ

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.29 (NO. 119) 2023, pp. 725-745

إذ بلغ (18) ذراعاً ، أما أقل فيضان سجله التاريخ فقد حدث في عام (48 ق . م) ، إذ بلغ (5) أذرع فقط ".(18)

وكما ذكر سترابون ، إنّ مياه فيضان النيل انخفضت انخفاضا شديداً عام (49 ق . م) ، ولكنه لم يذكر مقدارها . (19) ولتقدير ارتفاع مناسيب مياه فيضانات النيل أقيمت مقاييس في اماكن عدّة ، اشهرها ما حصل في جزيرة الفنتين ومدينتي طيبة ومنف ، ويُرجح بعض المؤرخين ان هذه المقاييس اقيمت اوائل عصر الأسرة الأولى في الالف الثالث قبل الميلاد ، كما يدّل على تسجيلات ارتفاعات مياه الفيضان في حوليات الملوك ايضا . (20) وهذه الإرتفاعات كما مُسجلّة تصل الى 1 / 16 من البوصة ، و لا بدّ انها كانت تُرصد في اماكن تكون فيها المياه ساكنة لا يُهيجها تيار.

بدليل انه لم يتجاوز الفرق بين النهايات الصغرى والكبرى على مدى (49) عاماً حتى (7) أذرع . في حين وصل الى ذلك الفرق ، أي (13) في العصر الروماني ، كما لم يبلغ متوسط الاختلاف عن المعدل السنوي اكثر من ذراع واحد . ولعل سبب ذلك يعود الى ان النيل كان في ذلك العصر ينصرف اليه مياه الامطار ، التي كانت تتساقط في مساحات واسعة أكبر من تلك المساحات التي تتصرف مياهها اليها الآن ، بما فيها البحيرات الاستوائية ، كما ان وسائل الري الصناعي آنذاك كانت بسيطة ، ولعل ابسطها كان الشادوف . (21) وقد تم الربط بين نهر النيل وفيضاناته وبين ازدهار الحضارة المصرية او تحلّلها او انتكاساتها خلال عصور الانتقال الاول والثاني والثالث ، الذي مرّت به مصر ، إذ حاول ان يربط بين زيادة مياه نهر النيل او نقصانها عبر عصور مصر التاريخية وازدهار حضارتها او انهيارها وتدهورها . (22) ولدعم وجهة النظر هذه ، لابد من اجراء مقارنة مقاييس النيل من حيث الارتفاع والانخفاض ، وترابط ذلك مع فترات القوة او الضعف للحكومة المركزية في مصر الفرعونية ، ووجود دلائل على ارتباط انخفاض مستوى المياه عند فيضان نهر النيل مع فترات القلاقل والاضطرابات السياسية في مصر القديمة(23) كما ذكر كريمال ايضاً ، ان نهاية الالف الثالث قبل الميلاد قد شهدت فترة ساد خلالها مناخ (ساحلي) أصاب افريقيا الشرقية على وجه الخصوص ، رافقها قصور الادارة المركزية في مصر لتلافي ومعالجة هذا الوضع مما ادى الى ازدياد اثار القحط وتدهور الحالة الاقتصادية في مصر. (24)

وممّا زاد الامر سوءً حصول حُكام الاقاليم على درجات متفاوتة من الاستقلال ، فتجلّى عجز الادارة المركزية عَن أنْ تفرض عليهم تطهير قنوات الري وصيانتها لضمان حُسن توزيع مياه الفيضانات مع احتمال انخفاض مستواه دون الحد المطلوب لسنوات عديدة .

كما يذكر فيير ايضاً احتمال وجود ارتباط بين جفاف الصحراء الثابت جيولوجياً من جهة ، وبين بداية انهيار الدولة القديمة ، الذي وقع في الفترة ذاتها من جهة اخرى ، وبالاحرى بين جفاف الصحراء والنزاعات مع الليبيين في ذلك الوقت . (25) وذكر آلدريد ، ان الدراسات الحديثة تربط بين هذا التغيّر في تاريخ مصر خلال نهاية عصر الدولة القديمة ، والتغيّر الواسع في المناخ في افريقيا والشرق الأدنى القديم في هذه الفترة التاريخية . حيث بدأت المجاعات تجتاح المنطقة ، وزادت من لوعة وألم المصريين كثيراً ، وكانت مصر قبل ذلك قد حصنّت نفسها ضد مخاطر امثال هكذا ظروف مناخية بإحكام السيطرة على نظام الري والادارة المركزية لمخازن الحبوب .

ثانياً : الألم واللوعة من اثرالكوارث الطبيعية والقحط والجفاف :

لقد كانت تلك الكوارث ، تاثر بشكل كبير على الشريان الوحيد للحياة (نهر النيل)التي تعتمد عليه مصر في حياتها وحياة سكانها ، ومن ثمّ فإنّ تكرار اخفاق فيضانات نهر النيل لا بدّ انه احدث

فوضى بيئية عارمة بشكل يهدد النظام الاجتماعي والاقتصادي ، وبالتالي اثر على الحالة الداخلية للبلاد مع تزامن هذه الكارثة البيئية مع حكومات تُعاني اصلاً من الضعف والانحلال. (26)

وهناك نصوص هيروغليفية (ادبية وسياسيو وتاريخية) تؤكد اصابة مصر بالجفاف والقحط والجوع ففي نص يعود الى (عنخ تيفى) من عهد الاسرة الوسطى ، حيث يرد فيه :

" مصر العليا تموت من الجوع ، لدرجة ان السُكان
اضطروا لأكل أطفالهم ... لكني تمكنت من أن لا يموت
من الجوع أقليمي " . (27)

وفي نص اخر لحاكم منطقة الجبلين (إيتى) ، الذي كان مُعاصراً للملك (عنخ تيفى) نفس المعلومة ، وبقصد ايضاح حالة المجاعة ، فيقول في نصٍ له :

" نتباهى في انه اطعم الجائع وكسى العريان
وانه لا يوجد جائع او بائس في اقليمه " . (28)

ويضيف بان المجاعة التي ألمّت بالبلاد نتيجة اهمال الزراعة وانخفاض مياه نهر النيل ، كما يذكر انّه مدّ يد العون الى الأقاليم المجاورة ، وقد دون ما قام به في هذا الصدد على النحو التالي :

" لقد أحببت الجبلين في أثناء سنوات الجدب ، فقد بلغ عدد الجياع (400)
رجل ، ولم أغتصب إبنة رجل ، ولم أستولِ على حقله " .

ثمّ يقول :

" ولما اكتفت الجبلين ارسلت قمح مصر العليا الى (ربما اشا) وحُفات (المعلا) كما صعد اقليم طيبة عبر النهر (ربما من اجل الامدادات) بحيث انه لم يعد معه هناك احد فوق او تحت الجبلين بحاجة الى مساعدة الاقاليم الاخرى ". (29)

وربما ترجع الى هذه الفترة ايضا لوحة " مرر " المحفوظة في متحف كراكاو ، وفي مصدر غير معروف تتحدث عن نقص مياه الري وحدوث مجاعة ، وقد دعا (مرر) على نفسه في هذه اللوحة الوصف التالي :

" .... المشرف على قصابي منزل خور " . (30)

ويروي مرر كيف انه اعتنى بأهله خلال اوقات المجاعة ، وانه قدّم القرابين الى (13) حاكماً ، حيث أورد :

" كنت رجلاً طاهراً ، أذبح الماشية ، واقدّم القرابين في معبدين لصالح
الحاكم ، وقدمت القرابين الى 13 حاكماً .. واحرزت (ملكية) .....
واطعمت إخوتي وأخواتي ودفنت الذي مات واطعمت الذي عاش في أي
مكان عثرت عليه في اثناء مجاعته (على هذا المرتفع الرملي) الذي
ظهر ، واغلقت كل حقولهم وتلالهم في المدينة " . (31)

وفي نص آخر نقرأ: (نهري) حاكم الاقليم الخامس عشر من اقاليم مصر العليا (اقليم الارنب) الذي يعودً الى السنة السادسة من حكمه انّه :

" حفظ (اطعم) مدينته خلال سنوات النيل المنخفض . (32) **واعطاها عندما**
لم يكن بها شيء ، ومد يد المساعدة اليها دون تمييز بين الكبير والصغير " .

وهناك نقشان آخران في حنشوب ، الى ولدين مختلفين للحاكم نهري ، يُدعى الأول (جحوتي – نخت) والآخر (كاى) يرويان بكلمات مماثلة :

" .... لقد أحببت مدينتي ، ومن ثم فقد مُدت بالمؤون بشكل تام

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.29 (NO. 119) 2023, pp. 725-745

خلال الفيضانات المنخفضة للبلاد ، عندما لم يكن هناك شيء " . (33)

وفي نقش آخر منفصل في حنشوب ، قال المدعو (كاى ابن نهري) :

" لقد كانت (مؤخرة) مدينتي في مياه المستنقعات " .

كما وصف الحكيم (ايبو – ود) حالة الفوضى التي عمّت مصر وما انتهت اليه من ضعف ودمار في اعقاب سقوط الدولة القديمة وإبان الانتقال الاول ، وشدّد باسهاب على انقلاب الاوضاع . (34) حيث ذكر بان مصر العليا قد صارت صحراء ، والجنوب (اصبح) بمثابة صحراء خاوية ، (35) وكذلك :

" حقا الصحراء (امتدت) خلال الارض اشارة الى التغير المناخي ، وانتشار الجفاف وغزو الرمال " . كما اشار ايضا الى حدوث مجاعة وذلك في قوله :

" حقاً ان الموظفين جوعى بسبب الفقر " .

وكذلك :

" حقا ان المرء يأكل العشب ويبتلعه بالماء ، ولا يجد المرء الحبّ والعشب للطيور ، ويخطف (المرء الثمار) من فم الخنازير ، ولم يعد الوجه جميلا بسبب الحزن من الجوع ، حقاً ان الغلال قليلة في كل طريق ، وقد جرّد (الناس) من الملابس ومواد الزينة والزيوت ، كل انسان يقول : لا يوجد شيء " . (36)

لم تتوقف لوعة وألم وشكوى المصري في كل حقبه التاريخية سواءا من عدم قدرته على السيطرة على فيضانات النيل او بسبب قلة وفرة مياهه ، التي سببت اعواماً من القحط على حياته واستقراره المجتمعي .

ثالثاً : اللوعة والألم من الظُلم المجتمعي :

لقد كان المجتمع المصري القديم ، وعلى الرغم من تدينهم وتأليههم لحكامهم ، كارهين لفكرة الظلم ، وعلى الرغم من قهر الحكام الاجانب ، وظلّت مصر بمجتمعها على الخريطة ، فلم تندثر او تمحى على مرّ الزمان . (37) من الجدير ذكره ، ان المجتمع المصري يسعى لنشر السلام ومفاهيم العدالة التي اكدّته تقديسهم لإسم الآلهة العدل (ماعت) . (38)

وقد ترك الظلم المجتمعي ونقصد الظلم بمفهومه السياسي الملك والظلم بمفهومه المجتمعي ، أي ظلم الانسان لاخيه الانسان عناوين كبيرة في العديد من الانماط السلوكية ، التي عبرّ عنها خير تعبير ، الأدب المصري القديم . (39) فالمصري القدي م كان يؤمن بالعمل الصالح ، كما اكدّته العديد من النصوص الهيروغليفية في كتاب الموتى ، فهو يقول :

1- **لم ألعن الآلهة .**
2- **لم أرتكب ما يُغضب الآلهة .**
3- **لم أرتكب الفاحشة في حرم الآلهة .**
4- **لم أدنّس نفسي بالمعاصي .**
5- **لم يَشكِني أحد للربْ .** (40)

إنّ كلمة الصالح مع اخيه الانسان اكدّته نواهي عدّة ذكر في الكتاب نفسه ، منها :

1- **لم ألحق ضرراً بأي انسان .**
2- **لم استبدل السيئة بالحسنة .**
3- **لم أعرف الشر ولم أعملهُ .**

4- **لم أقدّم مصلحتي على غيري**
5- **لم أعمل على اسقاء الحيوان .** (41)

هذه النصوص السياسية وغيرها من النصوص الادبية هي التي جعلت الظلم دافعاً من دوافع استشراء الألم واللوعة والحزن لدى الفرد المصري القديم ، وهي التي جعلت مفهوم العدل جوهر فلسفة الحكم ، الذي بدا واضحاً في كثير من تعاليمهم الدينية ونصائح حكمائهم وفلاسفتهم لملوكهم .

من المؤكد ان تعاليم الحكماء امثال (بتاح) وغيره كانت ولا تزال تحظى باحترام وتقدير من حيث اهمية الكلام الحسِن مع تعاليم (بتاح) والتفقه والعدل مع الناس :

" لا تكُن شريراً ، فالشفقة طيبة ، اجعل ذكرك حتى
الأبد من خلال حبّ الناس لم والإله سيمدحك
كمكافأة لك وستقدّر بسبب افعالك (طيبتك)
وسيصلي من اجل صحتك ... " (42)

والعدل من اهم الصفات التي يجب ان يتمسك بها الحاكم الصالح ، ولا بدّ ان ملكا قد رآى عواقب عدم التحلي بها كسمة من سمات الحكم ، لذلك يطلب من إبنه :

" أخدم العدل لتوطد مكانتك على الأرض هدىء الباكي
ولا تظلم الأرملة ، ولا تغتصب من رجل ميراث أبيه
ولا تضر المسؤولين في مناصبهم ، ولا تتولى العقاب (بنفسك)
إنّه ليس مفيد لك ، ولكن اتركه للجلادين ومن دون مُبالغة
وبذلك تستقر الأرض (الأمور) ما عدا التمر د حينما تنكشف
خططه لان الإله يعرف الخائن والإله يُعاقب بالدم " . (43)

(وكانت خيانة الدولة تُعد جريمة كبرى عند المصريين .) (44)

إنّ غياب هذا العنصر أي (عنصر العدل) كان مدعاة لشيوع التمرد والتذمر وانتشار مظاهر لشكوى المجتمع . وهناك نص مصري قديم يدل على ظهور مبدأ المعصية عند الانسان :

" أنا الإله ..
لم أأمُر أحداً أن يفعل السوء
لكن قلوبهم (الناس) هي التي أفسدت كل ما قلت
لان الانسان اعتاد ارتكاب الخطيئة ..
فإنّ (الرب / الإله) يعفنا بالرحمة " . (45)

لقد تعدّدت انواع رفض الظلم ، وسنحاول ان نتتبع نماذج هذا التحريم في بعض عناوينه ، ومنها :قصة الفلاح الفصيح ، التي حدثت في اواخر عصر الأسرة السادسة ، وتحديداً في عصر مملكة اهناسيا ، والتي كان بطل هذه القصة الفلاح (خون انبو) والملك (خيبي) احد ملوك اهناسيا (2450 ق . م) ، التي يدور موضوعها في تسع رسائل . وهي التي رفعها الفلاح (خون) الى ملكه رافعاً شكواه الطويلة الى حاكمه طالبا منه رفع الظلم عنه وعن غيره من المصريين ، ذكر فيها نِعَم الآلهة في تحقيق العدل مُذكّراً بحُرمة التجاوز على حقوق الفقراء . (46) وإنّ قراءة نصاً لرسالته الاولى سعياً في توضيح البُعد الاخلاقي في الحوار ، وفي تذكير ملكه الى ضرورة الحفاظ على حقوق وحُرمات الناس ، فيقول :**" يا مدير البيت العظيم ، يا سيدي ، يا أعظم العظماء ، يا حاكماً عليَّ ما قد فني وما لم يفني (أي حاكما على كل شيء) ، وإذا ذهب الى بحر العدل (يمتدح عدل رنزي)**

وسحت عليه في نسيم رخاء ، (47) فإنّ الهواء لم يمزق قلمك وقاربك لن يتبطأ ولن يحدث لصاريك أي ضرر ومرساك لن تنكسر ، ولن
يغوص قاربك حينما ترسو على الارض (يقصد لن يغرق قاربك) ولن يحملك التيار بعيداً ، ولن تذوق اضرار النهر ، ولن ترى وجها مرتاعاً ، والسمك الخائف سيأتي اليك ، وستصل (يدك) الى أثمن طائر ، وذلك لانك أباً لليتيم وزوجاً للأرملة واخاً لتلك التي نُبذت ، ومئزر لذلك الذي لا أمّ له ، دعني اجعل اسمك في هذه الارض يتفق مع كل قانون عادل ، فتكون حاكما خالدا من الشر وشريفاً بعيدا عن الدنايا ، ومُهلكا للكذب ومُشجعا للعدل ، ورجلاً يلبي نداء المُستغيث ، إني اتكلّم ، فهل لك ان تسمع ؟ أقمِ العدل انت ايها الممدوح ، الذي يمدح بهؤلاء الذين يمدحون (يقصد يحبونك) أقضِ على فقري ، انظر إنّي مُثقل بالحمل جربني ، انظر إنّي في حيرة " . (48)

إنّ الرسالة والعبارات نجدها في هذا النص ، والتي يطالب فيها بالاستماع الى المه وحزنه في قوله : **" إنّي اتكلّم ، فهل لكَ أن تسمع ؟ أقمِ العدل انت ايها الممدوح ، الذي يُمدح بهؤلاء الذين يمدحون ، يقصد يحبونك ، اقضِ على فقري " .**

من الرسالة الاولى يتضح من مضمونها انها تؤكد على فكرة رفض الظلم وتحريم التجاوز على حق الانسان وتحقيق العدالة ، تلك الفكرة التي ربطها الفلاح من دون ان يدري بفكرة الحريّة .

على اعتبار ان الفكرتين لا يبتعدان عن بعضهما البعض ، حين يقول : **(انظر إنّي في حيرة)** ، إنها حيرة الانسان الذي يريد ان يكون حرّاً ، حين يسير ، فلا يعترضه أي احد يسلبه تلك الحريّة .

حين اخبره (رنزي) ألا يسير في الطريق المطل عليه بيته وحين لعب لعبته ونصب الفخ ، أحس الفلاح (خانوب آنوب) بانه فقد حريته وخسر كل شيء . (49) وان هذا التجاوز على الحق كان يشكل الماً اجتماعيا كبيرا على المجتمع المصري القديم .

هذا الإحساس هو الذي دفعه لمطالبة الحاكم بضرورة تطبيق العدل :

" إذا طبقت العدل ستشعر بالأمن والأمان ، فلن يمزق الهواء قلعك ، ولن يتحطم فاربك ، ولن يكون بطيئاً مُعرّضاً للخطر " .

كل هذه المعاني المرتبطة بفكرة الامان ، هي في حقيقة الامر تعبير عن الحرية ، التي تتيح لممارستها فرصة الاستمتاع والعيش الكريم . هذا الوعي المُبكّر هو الذي ادّى الى الايمان بفكرة الحرية ومفهوم العدالة . (50)

وفي رسالة من احد الفراعنة لاحد حكام مصر محرّما التجاوز على حقوق الناس ، حيث يقول :

" إنّي لم أسيء ماعملة إبنة رجل من القوم ، لم أظلم ارملة ، ولم أهن فلاحا ، لم اطرد راعياً ، ولم اسخّر في اشغالي عمالاً بلا أجر ، وبهذه الطريقة زالت الكآبة عن اقليمي وانعدم الجوع ، ولمّا حلّ زمن القحط اجتهدت في زراعة الارض واطعمت سُكان الاقليم فلم يجُع احد ، وكنت اجزل العطاء للارملة والمتزوجة والكبير والصغير " . (51)

ويقول (رخمي رع) رافضا ومحرما فكرة الظلم واللوعة والحزن وتساهم في نفور الناس من الحاكم والافراد المسؤولين عن الحُكم ، كما يظهر في هذا النص :

" أيها القاضي : إياك ان تكون احكامك مبنية على رأي مطلق ، بل ارجع فيها الى الشرائع المرسومة ، التي تأمر بالعدل ، وانصاف الناس بالتي وضعها الإله بالعدل والإحسان والإنصاف ، ولا يرضى بالظلم والإنحراف عن الحق ، ولتبيّن رأيك في البت بالأمور بالأسانيد والبراهين العادلة التي يبتهج بها ضميرك " . (52)

لقد اهتم ملوك مصر وامرائها وفلاسفتها وادبائها في سيرهم الشخصية ورغبتهم في تكريس قيم العدل واهميته حتى بالنسبة للشخص المتوفي ، التي يكتبها ليذكر فيها الاشياء التي فعلها في حياته ، وتُعّد بمثابة عوامل مساعدة للحصول على رِضا الإله . (53)

فنقرأ في إحدى تلك السِيَرْ عبارات تتعلّق بتلك الفكرة :

" لقد قلت الحق ومارست العدل ، لقد احسنت الكلام ووفقت في ترديده ، لقد اقمت العدالة حتى يحبني الناس حبا شديدا ، لقد فصلت بين خصمين حتى ارضيهما (كليهما) ، لقد انقذت الضعيف من يدي الأقوى منه بقدر ما كان ذلك في استطاعتي ، لقد اعطيت الجائع خبزاً ، واعطيت ملبساً لمَن كان عاريـــــــاً " . (54)

ولم يكن رفض الظلم هاجس ملوك وحكام مصر فقط ، بل كان هاجس وزرائها وحكامها ، منهم الوزير الحكيم (بتاح حتب) احد وزراء الأسرة المصرية الخامسة بحدود (2700 ق . م) وهو كبير وزراء الملك . وتذكر المصادر من إنّه بعد ان ترك منصبه ترك لابنه مجموعة من الوصايا التي تحرّم الظلم وتطلب منه العمل بها ، ويقول في احد هذه النصوص :

" لا تُزهِ بنفسكَ لأنّك عالِم ، بل تحدث الى الجاهل كما تتحدث الى الحكيم لأنّ الحذق لا حدّ له ، كما ان الصانع لا يبلغ حدّ الكمال في حذق صناعته ، والكلام الجميل اندر من أحجار الزمرد الذي نعثر عليه بين الحصى ، واحذر ان تخلق لنفسك الاعداء باقوالك ولا تتخّط الحق ولا تتكدّر مما قاله انسان غيرك ، اميراً كان أو فلاحاً ليفتح به قلوب الناس له لأنّ ذلك بغيض الى النفوس " . (55)

إنّ التداخل بين ما هو ديني وما هو اخلاقي وما هو ادبي انعكس على سلوك المصريين القدامى وهذا ما اكدته العديد من النصوص ، (56) التي كانت كما يظهر في هذا النص ، الذي يُنسب الى (اون شيشونقي) (57) ، الذي يقول فيه :

" ليس هناك من يخدع الناس ولا يكون مخدوعاً هو نفسه ، وليس هناك من يسير معوّجاً ومع ذلك يستمر ويزدهر (58) ، لان الخديعة تخريب لاخلاق الناس ومدعاة للالم في نفس افرادها " . أليس ذلك هو نفس المثل الشائع :

" مَنْ حفرَ حفرةً لأخيه وقع فيها " .

ويقول الحكيم (آنى) :

" إذا كنت تسير على طريق تضعه بيديك كل يوم فإنّك ستصل حتماً الى المكان الذي ترغب فيه " .

وهذا يشبه تماماً قولنا :

" مَن سارَ على الدرب وصل " . (59)

ومن التعاليم الموجهة الى مري كارع (60) الدالة على ان الانسان ليس مخيرا في حياته كما يظهر في النص :

" ما قوله الإنسان شيء وما يفعله الرب شيء آخر " .

وهي تُعادل تماما قولنا :

" العبد في التفكير والرب في التدبير " .

ويقول (آنى) :

" ان دمار الانسان يكمن في لسانه ، فحاول ان لا تضر نفسك " .

وكذلك يقول آون شيشونقي :

" الخرس افضل من اللسان المُتسرع " .

أليس ذلك ما نقصده بقولنا :

" لسانك حصانك ان صنته صانك وان خنته خانك " . (61)

ويقول آون شيشونقي :

" حيّة تأكل ... لا سُمَّ فيها " .

ونحن نقول :

" اطعم الفم ... تستحي العين " . (62)

وغير ذلك من المقاربات الاخلاقية والتربوية الكثيرة ، التي إنْ كانت تدّل فانها تدّل على ان طبيعة هذا الشعب واحدة ... إنها استمرارية الحضارة . وهي التي تساهم في الفضيلة عبر حالات الجزع ، التي تتراكم فيها آلام الناس عند وقوعهم في الظلم من ذوي القربى والكسالى ، كما يظهر في هذا النص :

" كُن مجتهدا في كل وقت
افعل اكثر مما هو مطلوب منك
لا تُضع وقتك هباءً إذا كان في امكانك ان تعمل
مكروه ذلك الذي يسيء استخدام وقته
ان العمل يأتي بالثروة
والثروة لا تدوم إذا هُجر العمل " . (63)

ويذهب نصٌ آخر الى ان فضيلة القناعة في الحياة ، تساهم في امن المجتمع وتلغي الفوارق بينهم وتمنع من استمرار الالم بسبب الإحساس بالظلم كما في هذا النص :

" لا تطمع فيما يملك غيرك
دَعْ أخاك يشاركك ثروتك
ولا تتخطى حدود جارك
ولا تَبنِ على ارضه زراعة
أون شيشونقي
لا تكرّس قلبك في سبيل جمع الثروة
فلا أحد يأمن القضاء والقدر
وكل انسان له أجله المحدود " . (64)

ولم تكتف النصوص الدينية والادبية بذلك ، بل دعت الى النهي عن الطمع والخداع :

" إذا أدرت ان يكون سلوكك حسناً ، وأن تُحرر نفسك من كل الشرور فاحذر ان تشتهي ما يملكه الغير ، إنّه مرض لا شفاء منه ، يجعل الود مستحيلاً ، ويُحيل الصديق عدواً ، ويقضي على الثقة بين الأصدقاء ، ويُفسد ما بين المرء وأمّه وابيه ، وكذلك اخوته ، ويُفرّق بين الرجل وزوجته ، إنه حزمة تضم كل انواع الشرور ، وحقيبة ملآى بكل ما يستحق الخزي والتأنيب ، إن الذي يشتهي ملك غيره لا يكون له قبر " . (65)وهناك نص آخر في هذا الشأن :

" إنّ قلب الانسان يشبه مخزنا للغلال مليئاً بالإجابات من كل نوع ، أختَر الردود الطيبة منها وتحدث بها على لسانك واحتفظ بالردود السيئة في داخلك " . (66)

رابعاً : اللوعة والألم بسبب الحروب والنزاعات السياسية :

لقد دخلت مصر منذ عهد الاسرة السابعة بحدود (2130 ق . م) عهدا سياسيا صعبا افرز مرحلة سياسية واقتصادية وعسكرية قلقة ، تمثلت بانقسام مصر وتعدد مراكز القرار فيها ، فتوزعت الادارة السياسية فيها بين طيبة واهناسيا والنوبة . (67)

وكان من سوء حظ الدولة المصرية ان عاشت البلاد ومنذ عهد الأسرة التاسعة ظروف قحط حيث توقفت فيضانات النيل لمدة 7 سنوات ، فهرب فلاحي مصر من البلاد . وقد تزامن مع هذا الموضوع نشوب الحروب والصراعات بين ممالك مصر وتحديداً (طيبة واهناســـــــيا) . (68)

هذا الامر هو الذي جعل الدولة والناس يعيشون في مصر فترة من الصراعات والاضطرابات الداخلية والحروب . وتذكر بعض النصوص الادبية بعضا من ملامح الالم واللوعة والحزن واليأس ، كما هو واضح في هذه النصوص . في بادىء الامر عانت منف من ذلك وبعد ذلك تبعتها الاقاليم الاخرى (69) ، وخير دليل على الاوضاع السياسية الصعبة هو وصف الاديب (ايسيبوور) الذي عاش في فترة من فترات حكم الاسرة التاسعة ، الذي كان يصف البلاد فيها بهذا الشكل :

" ... حقا ان البلاد قد امتلأت بالعصابات ، لقد شحبت الوجوه ، لقد انعدم وجود رجال الامن ، واللصوص في كل مكان " . (70)

هذا الأمر ، أي الفوضى والاضطرابات ، التي كانت تحدث بين ملوك طيبة واهناسيا داخل البلاد ، قد انعكس على الوضع الداخلي واداء الحكومة وانتكاس وجود الحكومة شيئا فشيئا ، التي كان القوم يحترمون فيها (الملك – الإله)...فضعف دور الملك الحامـــــــــي . (71)

ويظهر من خلال سير الاحداث ان اوضاع مصر الداخلية استمرت متذبذبة (72) ، فملوك اهناسيا في اسرتهم العاشرة ، تارة يسيطرون على امراء وحكام المقاطعات الخاضعة لهم ، وتارة يتمردون ضدها ، وهذا الامر قد اخذ شيئا من قوة اسرتهم ، وربما ساهم بعد ذلك بانهيارها . (73) التي خلقت بدورها الكثير من اللوعة والألم والمعاناة للشعب المصري ، وقد ولدت كذلك مشاكل بين حكامها وشعوبها أي محكوميها . ان هذه العلاقة المتوترة بين حكام اهناسيا والاقاليم مصرية ، التي شابها استخدام شيء من القوة من قبل حكام اهناسيا ضد الشعب ، احسسته بانه قد قاسى من الظالم الكثير . (74) ولقد تركت الحروب وخسائها آثارها في النص الأدبي المصري القديم ، كما يُلاحظ في هذا النص :

ـ " أنظر لترحاله وعدم اشتراكه في المعارك ولكن طالما أنا حي فالمحاربين على أية حال اغلقوا الانحاء ، لقد جلت المناطق الشمالية تذبيحهم ، لقد آسرت سكانهم لا تقلق نفسك بهم انه نقط آسيوي شخص مكروه في بلاده يمكنه سرقة شخص واحدولكنه لا يقوى على مواجهة مدينة بها مواطنون كثيرون " . (75)

ربما نستشف من هذه الكلمات التي تظهر شكوى الاهالي من المعركة التي يشكلها الغزو الآسيوي على مصر ، وان وصف الآسيويين بهذه الصفات وعدم قدرتهم على مواجهة مدينة ، يؤكد ان مثل هؤلاء لا يمكنهم ان يكونوا سبباً في القضاء على الدولة المصرية القديمة ، وإنّ انهيارها كان مرجعه اسباب داخلية . ولقد ظلت ملامح الألم واللوعة والشكوى تبث في العديد من النصوص الادبية ، ولربما قراءة دقيقة لهذه النصوص يعطينا صورة متكاملة من صور الاحوال الاجتماعية السائدة آنذاك . ولقد وثقت العديد من البرديات ذلك ، ومنها بردية (ايبوور) . (76)

وهناك العديد من النصوص الادبية ، التي جسدت حجم المعاناة الاجتماعية ، والتي عاشها الفرد المصري القديم آنذاك ، وعبّر المفكرون خلال عصر الثورة الاجتماعية عن الاحوال السيئة التي مرّت بالبلاد باسلوب ادبي بليغ . ومن هؤلاء المفكرين الحكيم (ايبوور) الذي عبّر عن هذه الاحوال السيئة ، وذلك في سياق تقديمه النُصح للملك الجالس على العرش طالبا منه العمل على انتشال البلاد مما هي فيه ، ومما جاء فيها : (77)

- " ... انظر الآن ، لقد حدث شيء لم يحدث منذ زمن طويل ، لقد سرق عامة الناس الملك واخذوه .... واصبح الهرم خالياً مما فيه . (يشير بذلك الى مهاجمة الاهرامات للملوك السابقين وسرقة مومياءاتهم وما كان معها) . انظر الآن لقد وصل الامر الى اقصى درجات السوء ، وحرمت البلاد من الملكية على يد فئة لا تعرف كيف تسيّر الامور ... " . (78)

- " انظر لقد اصبحت النبيلات يعملن بايديهن ، ويعمل النبلاء في حوانيت الحِرف ، واصبح كلُ مَن ينام على حصير ملكاً لسرير " .

- " انظر انه لم يعُد هناك وجود للدواوين ، وصار الناس اشبه بقطيع لا راعي له " .(79)

- " انظر لقد القى بقوانين قاعة العدل طهرياً ، فصارت تدوسها الناس بالاقدام في المحال العامة ، والفقراء يفضونها على قارعة الطريق " .

- " انظر فالرجل يضرب اخاه من أمه ، فما العمل في ذلك ؟ ان الرجل يُذبح وهو بجانب اخيه . في حين
يتركه اخاه لينجو بنفسه والرجل ينظر الى ابنه نظرته لعدوه ، ويذهب الرجل الى حقله وهو مُسلّح بدرعه " .

- " انظر ، ان الماشية قد تُركت ضالّة في الطريق ، ولا يوجد احد يجمعها أو يلّم شتاتها " . (80)

- " انظر ، ان المتحلي بالفضائل يسير وهو محزون لما حدث في البلاد ... ويقول آخرون : لو كنت اعلم
اين يوجد الإله لقدمتُ له قرباناً ... وفي الحق ان (العادلة) موجودة في البلاد بإسمها فقط وما يلقاه
الناس حينما يلتجأون إليها هو التعسف ... " . (81)

- " وفي الحق ان السرور قد مات ، ولم نعد نتذوقه بعد ، ولا يوجد في الارض إلا الأنين الممزوج بالحسرات ... (82) وفي الحق ان كلاً من العظيم والحقير صار يقول :
ليتني كنت ميتاً . ويقول الاطفال الصغار : ليتنا لم يعلن عنا احدا ومتنا قبل هذا .... وفي الحق ، ان قلوب كل القطعان صارت تبكي ، والماشية تإنْ بسبب الحالة التي وصلت اليها البلاد " . (83)

ويبلغ التأثر بالحكيم ايبوور مبلغه حتى نجده يطلب من الله ان يقضي على كل شيء حتى يستريحون من هذه الحالة الشاذة في تاريخ مصر القديم ، وفي ذلك يقول :

- " ليت الناس يُفنون ، فلا يحدث حمل و لا ولادة ، وليت البلاد تخلو من الغوغاء حتى يُقضى على الشجار " . (84) هذه الاوضاع هي التي جعلت ايبوور يصف المرحلة العصيبة من تاريخ مصر في قوله : **- " تدور البلاد كما تدور في الفخار ، حقاً ان البلاد قد امتلأت بالعصابات ، لقد شحبت الوجوه ، واصبح الرماة متحفزين في كل مكان ، لقد انعدم الأمن ، ولكن اللصوص في كل مكان " . (85)** وهكذا عمت الفوضى البلاد حتى شملت المخازن الحكومية ودواوين الدولة ، فمزقت القوانين ودِيسَت بالاقدام ، ولم ينجُ من تلك الفتنة الهوجاء ، حتى موظفي الدولة ومحاكمها ، حيث يقول ايبوور :

- " وفي الحق ، لقد سُلبت قاعة المحاكمة الفاخرة ، واصبح الماكن السري مكشوفاً ، لقد فُتحت الادارات العامة ، ونهبت قوانينها ، لقد سلب الموظفون ونهبت قوائمهم ، لقد دُمرت سجلات كتبة المحاصيل ، واصبحت غلال مصر متاعاً مُشاعاً ، ولقد ذبح الموظفون في القضاء ، وألقيت اوراقهم في العراء وطُرد قضاة البلاد " . (86) ويصوّر (نفرتي) البلاد وقد عزّ الأمن فيها وسادها الحرب ويصورها ، فيقول :

ـ " إنّ البلاد في كرب وعويل ، لقد حدث ما لم يحدث من قبل . سيجلب الناس اسلحة الحرب ، حتى تبعث في الارض القلق والاضطراب ، وسيصنع الناس اسلحة من نحاس حتى يلتمسوا الخبز بالدم ، ويضحكوا ضحكة الموت ، لم يبكي الناس من الموت ، فقد اصبح الاب خصما ، والاخ عدوا ، واخذ الرجل يقتل اباه ، واختفى كل شيء طيب وخربت البلاد ، واصبحت املاك الرجل تُغتصب وتُعطى للغريب ، وغدى المالك في حرمان ، والاجنبي في شبع ورفاهية " . (87)

وعندما يشعر الشعب بان ملوكه ضِعاف متخاذلون وليسوا آلهة ولا ابناء آلهة كما كانوا يروجون ، لذلك فان هؤلاء الملوك وقعوا تحت سيطرة حكام الاقاليم الكبار ورجال الدولة وكبار الموظفين ، الذين اشاعوا الظلم ونهبوا الشعب عن طريق الضرائب الباهظة ، ومارسوا الكِبَرْ والغطرسة والطُغيان .

عندئذٍ هبّ الشعب لينتقم من الجميع ، وحدثت الانتفاضة المدمرة ، التي اكتسحت في طريقها كل شيء على النحو الذي عرفناه بعد سقوط الدولة القديمة . (88) ولم تكن البلاد بمنأى عن الخطر الخارجي عندما تسللت فلول البدو الرُحل على حدود البلاد الشرقية والشمالية الشرقية .

اللوعة من الحروب والإحتلالات الخارجية :

لقد خضعت مصر حالها حال بلاد الشرق الادنى القديم الى الاحتلال الاخميني (525 – 332 ق . م) وبعدها لسيطرة الاغريق (332 ق . م) وبعدها لحكم الرومان . وقد اثارت وقوع مصر لسيطرة هذه الاحتلالات مواقف سياسية واجتماعية متباينة ، إلا ان كُره المصريين للاخمينيين كان واضحاً .

وقد تركت هذه الفترات اثرها في روحية هذا الشعب ، حيث اثارت فيهم الحِنق والحسرة والألم واللوعة ، ولربما خير مثالٍ على ذلك ، هو مشاعر اللوعة والحزن ، التي اظهرتها في فترة الاحتلال الاخميني (525 – 332 ق . م) . ونموذجاً لهذا الحزن واللوعة ، تذكر المصادر التاريخية من ، أنّ المصري كان رافضاً للاحتلال الاخميني الاجنبي . (89) ويبدو ان محاولات الملك المصري (بسماثيك الثالث) لم تجدِ نفعاً . وقد حاول هذا الملك الدفاع عن مصر ... لكنه قد عسكر مع جيشه في مدينة (منفس) ، ولكن قمبيز تابعه واستطاع من دخول مدينة (منفس) واخذ الملك اسيراً ، واهانه أشدّ اهانة (90) ، لكنه اظهر صبرا جلياً ، وادهش الملك الفارسي ، لكنه لقي حتفه اخيراً بعد أن تجرّع السم ، فسقطت مصر تحت حكم الفرس الاخمينيين سنة (525 ق . م) . (91)

وقد كانت الرسائل التي بعثها قمبيز الى ملوك كصر ، تُعبّر خير تعبير عن طبيعة العلاقة ، التي كانت سائدة بين الشعبين ، ولدينا نصوص عديدة تعبّر عن طبيعة هذه العلاقة إبان رغبة قمبيز بالدخول الى مصر كما يظهر في هذا النص :

ـ " أنا قمبيز ... اكتب اليكم هذا ... فإذا استمعتم له كان ذلك خيرا لكم ... وإلا كونوا مستعدين لملاقاة جان غضبي الذي سأصبه على رؤوسكم ، لأنني سيد الارض كلّها " . 92

إنّ هذا النص الذي احتوته هذه الرسالة وغيرها من الرسائل كانت تشكّل نوعاً من انواع الخطاب السياسي الذي يُظهر في جنباته خطابا تهديديا ، حيث يشكّل نوعاً من انواع الحرب النفسية . (93)

ايضا حمل الاخمينيون اسما مصريا (مسموت رع) ميلاد رع ، اي المولود من (رع) ، وحرصوا على ان يصوروه وهو يتعبّد الى المعبودات المصرية الرئيسة . (94) وقد تأثر قمبيز كثيرا بثراء وثقافة هذا البلد العريق ، وشعر بنوع من الفخر وهو يرى نفسه متوّجاً كملك على الطريقة المصرية . ونرى في هذا ، ان صيت مصر الذي كان معروفاً في كافة ارجاء العالم القديم كمهد للحضارة ، قد عاش على الرغم من الكوارث التي حلّت بها ، وقد احترم قمبيز معتقدات المصريين ، وعلى الرغم ذلك ، فقد ترك هذا الاحتلال شطلا من اشكال الحزن والغضب والرفض واللوعة .

ومن المؤكد ان استيلاء الاخمينيين على البلاد لم يمر بسهولة وسلام ، إذ ان نار الحميّة الوطنية للشعوب المغلوبة على امرها ومنه مصر ، لم تَخبُ تماماً تحت الرماد ، فقد قامت الثورات في بعض الانحاء . وتؤكد الوثائق المحلية في مختلف اماكن البلاد ومنها المعابد التي اقام فيها الاجانب وتركوا آثار الحرائق فيها . (95) وقد شاهد (سترابون) ايضا الكثير من هذه الآثار في (عين شمس) ، خاصة التي كانت تحمل آثار حرائق الاخمينيين في (المقاصير) ، وتؤكد البرديات الآرامية التي عُثر عليها في (الفنتين) هذه المعلومات عن تلك المقاومة . (96) هكذا اصبح التاج المصري من تلك اللحظة جزءاً من الامبراطورية الاخمينية ، واصبحت العاصمة (منف) بدلا من مدينة (سايس) ، التي كانت العاصمة للأسر المصرية السابقة ، وايضا اراد قمبيز ان يستولي على الواحات تمهيداً لغزو قرطاجة ، فأمر بارسال جيش قوامه 50 ألف جندي عبر الصحراء الليبية ، ليحتلها .

ولكي يُحطّم معبد آمون في واحة سيوه للانتقام من كهنة مصر ، بعد ان نشروا نبوءات منها نبوءة عن موت قمبيز . (97) وايضا نبوءة عن معبد آمون في سيوه ، التي كان يأتي اليها بعض الزوار من بلاد اليونان ، وكان الاغريق يثقون ثقة عظيمة بنبوءات ووحي كهنة معبد آمون .

فلما سأل الزوار من بلاد اليونان كهنة آمون في سيوه عن قمبيز وغزو الاخمينيين لمصر ، جاء الجواب بسوء ، ولهذا السبب ارسل قمبيز جيشه للانتقام منهم وتلقينهم درسا قاسياً وكذلك هدم المعبد .

لكي يُثبت للعالَم اجمع عدم صِدق هذه النبوءة فخرجت اليهم تلك الحملة من طيبة ، ووصلت الى الواحات الخارجية واخذوا ما يلزمهم من مؤن وأدلاء ، وغادروا الخارج في طريقهم الى سيوه ، ولكن لم يصل أي جندي الى سيوه او ابعد منها الى الخارج . (98) ويقص علينا (هيرودوت) قصة هذه الحملة ، ويقول ، ان عدد جنودها كان (50) الفاً ، (وربما كان هذا العدد مبالغا فيه بعض الشيء) . وكان هيرودوت قد زار مصر بعد 75 عاماً تقريبا من هذه الاحداث .

ويزيد قائلا ، ان كهنة آمون في سيوه سألوا فيما بعد ذلك عن مصير هذا الجيش ، فقالوا ان المعبود آمون انتقم من اعدائه وارسل عليهم لعنته وغضبه وانتقامه ، بينما كان هذا الجيش في منتصف الطريق ، هبّت عليه عاصفة رملية شديدة ودمرتهم ودفنتهم جميعا . وما يزال مصير هذا الجيش سرّاً من اسرار الصحراء الغربية حتى الآن ، وقد حاول الكثيرون في عصرنا الحالي البحث عن آثار مستخدمين احدث المعدات والوسائل الحديثة ، لكن دون جدوى .وربما شكّل هذا التفسير تعريفاً للمصريين لحالة الألم واللوعة والحزن التي عاشها المصريون طيلة فترة الاحتلال الاخميني .

الخاتمة :

ان ظاهرة اللوعة والألم لم تكن ظاهرة فردية مرتبطة بالشعب المصري القديم او بالشخصية المصرية فحسب ، اوهي ميزة أنسان وادي النيل بل هي ظاهرة بشرية ارتبطت بالوجود البشري في مختلف حضاراته ، بل هي شكل من اشكال الحزن المجتمعي والتي كانت تعكس معاناة الشعب المصري القديم وعبرت عنها نتاجه الأدبي والاسطوري وعكست أسلوب حياته وقد ظهرت بواكير اللوعة والحزن على طبيعة طقوس وأساليب التعبير عنده وكان واحد من أسباب ظهور انماط الشكوى ، انما يعود للطبيعة الجغرافية ، وتحديداً في ظاهرة ارتفاع وانخفاض مناسيب نهر النيل والتي كانت تسبب القحط والجوع المجتمعي كما شكل الظلم وتحديداً الظلم السياسي يشكل عاملاً من عوامل اللوعة والالم عبرت عنها كثير من النصوص الشكوى وظهور كثيرة من بواعث اللوعة والحزن في نصوص وأدب الفرد المصري القديم ، والذي كان يعتقد أن الظلم الاستثناء في الحاكم والعدل (ماعت) هو القاعدة ،وقد كان لجور الفرد أو مايسمى بالظلم الجمعي (اي يتجاوز الفرد على حقوق الفرد الاخر) سبباً من أسباب ظهور الشكوى وتعالي اللوعة والحزن في كثير من نصوصه ، وسبب ألماً كبيراً للفرد

المصري القديم وحددت علاقته مع الاخر كما ظهرت نوعاً أخر من مظاهر اللوعة والالم في رفض المصريين القدامى لحكم الغزاة للاجانب ، والتي اعتبرها المصريون أهانة لكرامتهم مدعاة تظهر علامات اللوعة والحزن في العديد من نصوصهم الادبية والسياسية كل هذه العوامل كانت سبباً في تعالي اللوعة والالم وتضخيم الحزن في الشخصية المصرية القديمة .

المصادر

ابراهيم احمد زرقانة وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم ، (القاهرة : 1981)
احمد ابراهيم ، التديّن المصري ، (القاهرة :1968)
احمد بدوي ومحمد جمال، التاريخ مختار مصر الفرعونية ، (القاهرة: 1967)
توفيق حمد عبد الجواد ،العمارة وحضارة مصر الفرعونية ، (مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة – 1984)
جمال عبد المعتمد، تجليات الألم في النصوص المصرية القديمة ، (القاهرة :2000)
سامي سعيد الاحمد وجمال رشيد ، تاريخ الشرق الادنى القديم ، (بغداد : 1988)
سليمان حزين ، حضارة مصر ، الهيئة المصرية للكتاب ، (القاهرة: 1995)
سليم حسن ، موسوعة مصر القديمة ، (القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب : 2000)
سمير أديب : موسوعة الحضارة المصرية القديمة ، (القاهرة ، دار العربي : 2000)
سيد كريم ، لغز مصر ، (الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة : 1998)
سيد كريم ، الحكم والامثال في الأدب الفرعوني ، (القاهرة : 1997)
سيد عويس ، قراءة في موسوعة المجتمع المصري ، (الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة : 2001)
سيريل آلدريد، الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة ، ترجمة : زهير أمين ،(القاهرة ، 1992)
عبد الحي حجازي، المدخل لدراسة العلوم الاجتماعية والثقافية ، (الكويـــت : 1972)
علاء الدين عبد المحسن شاهين، التاريخ السياسي والحضاري في عصر الفرعونية ، (الخليج العربي للطباعة ، القاهرة: 2008)
فائز انور عبد اللطيف ،الوعي السياسي عند قدماء المصريين ، (القاهرة : 2008)
فرانسوا دوماس ، حضارة مصر الفرعونية ، ترجمة : ماهر جويجاتي ، (القاهرة: 1968)
فلندرز تبري،الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ، ترجمة : محمد جوهر و عبد المنعم عبد الحليم ، (القاهرة : 1975)
قيس النوري ،طبيعة المجتمع البشري في صور الانثروبولوجيا الاجتماعية ، (بغداد : 1977)
محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة ، (القاهرة ، دار المعارف : 1989)
محمد سعد الله ، تاريخ تطور المُثل العُليا في مصر القديمة ، مؤسسة الشباب الجامعية ، (الاسكندرية ،1989)
محمد عبد التواب ، وحكمت مسيحة ، دليل متحف آثار ملوى ، (الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، القاهرة – 1973)
محمد عبد الحميد بسيوني ،آداب السلوك عند المصريين القدماء ، (القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب :1999)
مزهر الخفاجي ، جذور الثورة والعنف والاستبداد في المجتمع المصـــــــري ، (بيروت :2019)
منتصر ثابت ، خونا نوب الفلاح الفصيح ، (القاهرة ، دار الهلال – بلا)

والتر آمري ، مصر في العصر العتيق (الأسرتان الاولى والثانية) ، ترجمة : راشد محمد نوير ومحمد علي كمال الدين ، (دار النهضة مصر: 2000) .
وول ديورانت ، قصة الحضارة (الشرق الادنى) ، المجلد الاول ، ترجمة : محمد بدران ، (بيروت :دار الجيل، 1988)
Anthes,r,dic feleiseniusehri ften you Hetnub (Leipziq 1928)
Antonio Loprieno: Ancient Egyption Literature (New york,1991)
Candil. William, Applled Anthropoligy in Medicine Anthpoligy day. Krobener A.L Editor (Chicago,1953)
Drition, E., Vandier, Les Peuples de Drinient Medill Tennraneen.
Erman, the lierture of the ancient Egyptians (London,1927.)
Gardiner,a.h the admontions of an egyptinsage leipig (1909)
Gardiner,a.h the admontions of an egyptinsage leipig (1909).
Quibell and Green, Hera Konpolis, London,1952

الهوامش

1-Mazhar al-Khafaji: The Roots of Revolution, Violence and Tyranny in Egyptian Society (Beirut - 2019), p. 38.
2- Candil. William, Applled Anthropoligy in Medicine Anthpoligy day. Krobener A.L Editor (Chicago,1953),p.772.
3-Qais al-Nuri, The Nature of Human Society in Social Anthropology (Baghdad- 1977), c 2, p. 310.
4-. Ibid., vol. II, p. 311
5- .Ibid., vol. II, p. 311
6- .Mizhar Al-Khafaji, Op.cit , p. 40
7-Gamal Abdel Mootamid: Manifestations of Pain in Ancient Egyptian Texts (Cairo- 2000), p. 28
8- Ibid., p. 30.
9- Abdul Hay Hijazi: Introduction to the Study of Social and Cultural Sciences (Kuwait- 1972), p. 203.
10- Ibid. , p. 204.
11- Suleiman Hazin: Civilization of Egypt, Egyptian Book Authority (Cairo- 1995), p. 58.
12- Ibid., p. 58.
13- Jamal Abdul Mu'tamid, , Op.cit, p. 31.
14- Walter Emery: Ancient Egypt (First and Second Dynasties), translated by Rashid Mohamed Neuer and Mohamed Ali Kamal El-Din (Dar Al-Nahda Egypt- 2000), p. 92.

15- Alaeddin Abdul Mohsen Shaheen: Political and Civilizational History in the Pharaonic Era (Arabian Gulf Printing, Cairo- 2008), i 1, p. 8; Nicolas Grimal: History of Ancient Egypt, p. 119.
16- Ibrahim Ahmed Zarqana et al.: Civilization of Egypt and the Ancient East (Cairo- 1981), p. 157.
17- Flinders Tebri: Social Life in Ancient Egypt, translated by Mohamed Gohar and Abdel Moneim Abdel Halim (Cairo- 1975), p. 243.
18- Ibid., p. 243.
19- Walter Emery, Op.cit , p. 92, p. 94.
20- Quibell and Green, Hera Konpolis, London,1952,p.74-75.
21- Ibid,p.75.
22-Jamal Abdul Mu'tamid, Op.cit, p. 39.
23- Alaeddin Abdul Mohsen Shaheen, Op.cit, p. 8.
24- Nicolas Grimal, Op.cit, p. 179.
25- Ibid., p. 179.
26- Cyril Eldred: Egyptian civilization from prehistoric times until the end of the Old Kingdom, translated by Zuhair Amin,(Cairo-1992), p. 144.
27- Drition, E., Vandier, Les Peuples de Drinient Medill Tennraneen,p.105, Sami Saeed Al-Ahmad and Jamal Rashid: The History of the Ancient Near East (Baghdad-1988), p. 160.
28- Drition, E., Vandier, Les Peuples de Drinient Medill Tennraneen,op.cit., p.106.
29- Safi Mohiuddin Al-Saadi: Provincial Rulers of Pharaonic Egypt, Study on the History of the Regions until the End of the Middle Kingdom, p. 167 - 264 - 276.
30-Cyril Eldred, Op.cit , p. 144.
31- Drition, E., Vandier, Les Peuples de Drinient Medill Tennraneen,op.cit, p.104.
32- Hassan Mohiuddin al-Saadi, Op.cit, p. 22.
33- Drition, E., Vandier, Les Peuples de Drinient Medill Tennraneen,op.cit,p. 104.
34- Ibid,p.105.
35- Rasha Farooq Al-Sayed Mohamed: Dua-Kheti Tips, p. 74.
36- Ibid., p. 74.
37- Syed Owais: Reading in the Encyclopedia of Egyptian Society (Egyptian Book Authority, Cairo- 2001), p. 21.
38- Ibid., p. 20.

39- Muzhar al-Khafaji, Opcit, p. 163.
40- Flinders Petri, Opcit, p. 144.
41- Ibid., p. 144.
42- Wilson, Ibid,p.41.,Mohamed Saadallah: History of the Development of Ideals in Ancient Egypt, University Youth Foundation, Alexandria - 1989, p. 18.
43- Ibid., p. 173 - 181.
44- Ibid, p. 173 - 181.
45- According to Ahmed Ibrahim: Egyptian Religiosity (Cairo- 1968), p. 3.
46- Salim Hassan: Encyclopedia of Ancient Egypt (Cairo, 2000), c 7, p. 55.
47- Montaser Thabet: Khona Noub Al-Falah Al-Faseeh (Cairo, Dar Al-Hilal), p. 28.
48- Antonio Loprieno: Ancient Egyption Literature (New york,1991),p.211.
49- Samir Adib: Encyclopedia of Ancient Egyptian Civilization (Cairo, Dar Al-Arabi-2000), p. 62 .
50- Salim Hassan, former source, vol 7, p. 60 .
51- Muhammad Abdel Hamid Bassiouni: Literature of the Ancient Egyptians, (Cairo, Egyptian Book Association - 1999), p. 15 .
52- Sayed Karim: The Rule and Proverbs in Pharaonic Literature, (Cairo - 1997), p. 148 .
53- Ibid., p. 148 .
54-Francois Dumas: Egypt's Pharaonic Civilization, Translation: Maher Goigati, (Cairo-1968), p. 58 .
55- Wall Durant: A Story of Civilization (Near East), Volume One, Translation: Mohammad Badran, (Beirut, Dar Al-Gel-1988), Vol2, P150 .
56Muhammad Bayoumi Mehran: Ancient Egyptian Civilization (Cairo, Dar al-Maarif - 1989), Vol1, p. 10-11 .
57Ahmed Badawi and Mohamed Gamal: History is the Mayor of Pharaonic Egypt, (Cairo-1967), p. 72 .
58- Mohamed El Azab Moussa: The Elders of the Nile Valley, p. 41 .
59- Ibid., p. 41 .
60 The Teachings of Mary Kara: These were found on the Leningrad Papyrus, teachings directed by one of the kings of Hanasia to his son Mary Kara on matters of war and politics. Ahmad Muhammad al-Baridi: Egyptian literature, p. 107.
61- Mohamed El Azab Moussa, former source, p. 41 .
62- Salim Hassan, former source, Vol7, p. 173 .

63- Ibid., p. 7, p. 173 .
64- Same source, p. 173 .
65- Same source, p. 176 .
66- Mohamed El Azab Moussa, former source, p. 44 .
67-Salim Hassan, former source, Vol 3, p. 429 .
68-Sayed Karim: The Mystery of Egypt (Egyptian Book Association, Cairo - 1998), p. 48 .
69- Darboton and Jack Vandey: Egypt, p. 240 .
70- Wilson, The Adminitic of ipu-wer (ANETI),p.441.
71- Ibid,.p.144.
72- Ahmed Fakhri: Egypt, Pharaonic, p. 169 ; Muhammad Bayoumi Mehran: First Social Revolution in Ancient Egypt, p. 305
73- Anthes,r,dic feleiseniusehri ften you Hetnub (Leipziq 1928).p.7-14.
74- Faez Anwar Abdel Latif: Political awareness among the old Egyptians, (Cairo - 2008), p. 95 .
75-Wilson,ibid,p.416.
76-There is a papyrus of Ebore currently in the Leiden Museum in the Netherlands, and the first scientist to refer to it was the Dutch scholar Langa in 1903, and in 1909 Sierra Gardens translated it accurately, and presented a thorough study on it, in his work.
77- Gamal Abd al-Mu'tamid, former source, p. 42 .
78- Gardiner,a.h the admontions of an egyptinsage leipig (1909.p.p.7338) brested,the dawnot conscience,p.193.
79-Ibid,p.35.
80-James Henry Brested: History of Egypt from the Earliest Times to the Persian Conquest, p. 324.
81- Ibid., p. 324 .
82-Gardiner,op.cit.p.35.
83-Ibid.p.73.
84-Wilson, The Admontins of ipu-wer anet,p.441.
85-Wilson.op.cit.p.442.
86-Gardiner,a.h the admontions of an egyptinsage leipig (1909.p.p.10).
87-Erman, the lierture of the ancient Egyptians (London,1927,p.113-114)
88-Mukhtar Al-Suwaifi: Mother of Civilizations, Vol1, p. 183.
89-Salim Hassan, former source, Vol3, p. 448 .

90-- Anwar Muhammad Zinati: Encyclopedia of World History, Vol 1, History of Egypt, p. 233 ; Mohamed Fouad Merabet: Fine arts and the history of ancient pyramids, p. 29 .
91-Abdelaziz Saleh, former source, 313-317 ; Ramadan Abdu Ali: The ancient history of the Near East and its civilization from the dawn of history until the coming of the campaign of Alexander the Great, Vol 1, p 253 ; Nasser Al-Ansari: The Outline of Egypt's History, Political and Administrative Systems, p. 49 .
92-Olmsted, Persian Empire, p. 252 .
93-Tawfiq Hamad Abdel Gawad: Architecture and the Pharaonic Civilization of Egypt (Anglo-Egyptian Library, Cairo - 1984), p. 58 .
94-Muhammad Abdel Tawab: Hikmat Masiha, Directory of the Malawi Archeological Museum (General Authority for Printing Princely Affairs, Cairo - 1973), pp. 32-33 .
95-Herodotus: The History of Herodotus, p. 37 .
96-Ramadan Abdu Ali, former source, Vol1, p 103 .
97-Ibid., p. 1, p. 103 ; Ahmad Fakhri, former source, p. 168 .
98- Ibid,p.168 .

Sources

- Abdul Hay Hijazi: Introduction to the Study of Social and Cultural Sciences (Kuwait- 1972)
- Alaeddin Abdul Mohsen Shaheen: Political and Civilizational History in the Pharaonic Era (Arabian Gulf Printing, Cairo- 2008)
- Antonio Loprieno: Ancient Egyption Literature (New york,1991).
-According to Ahmed Ibrahim: Egyptian Religiosity (Cairo- 1968)
-Anthes,r,dic feleiseniusehri ften you Hetnub (Leipziq 1928).
-Ahmed Badawi and Mohamed Gamal: History is the Mayor of Pharaonic Egypt, (Cairo-1967)
- Candil. William, Applled Anthropoligy in Medicine Anthpoligy day. Krobener A.L Editor (Chicago,1953)
-Cyril Eldred: Egyptian civilization from prehistoric times until the end of the Old Kingdom, translated by Zuhair Amin,(Cairo-1992)
- Darboton and Jack Vandey: Egypt.
-Erman, the lierture of the ancient Egyptians (London,1927)
- Faez Anwar Abdel Latif: Political awareness among the old Egyptians, (Cairo - 2008)

- Flinders Tebri: Social Life in Ancient Egypt, translated by Mohamed Gohar and Abdel Moneim Abdel Halim (Cairo- 1975)
-Francois Dumas: Egypt's Pharaonic Civilization, Translation: Maher Goigati, (Cairo-1968)
- Gamal Abdel Mootamid: Manifestations of Pain in Ancient Egyptian Texts (Cairo- 2000)
- Gardiner,a.h the admontions of an egyptinsage leipig (1909).
- Ibrahim Ahmed Zarqana et al.: Civilization of Egypt and the Ancient East (Cairo- 1981)
-Mazhar al-Khafaji: The Roots of Revolution, Violence and Tyranny in Egyptian Society (Beirut - 2019)
- Mohamed Saadallah: History of the Development of Ideals in Ancient Egypt, University Youth Foundation, Alexandria – 1989.
-Muhammad Bayoumi Mehran: Ancient Egyptian Civilization (Cairo, Dar al-Maarif - 1989.
- Muhammad Abdel Hamid Bassiouni: Literature of the Ancient Egyptians, (Cairo, Egyptian Book Association - 1999).
-Montaser Thabet: Khona Noub Al-Falah Al-Faseeh (Cairo, Dar Al-Hilal)
- Muhammad Abdel Tawab: Hikmat Masiha, Directory of the Malawi Archeological Museum (General Authority for Printing Princely Affairs, Cairo - 1973)
-Qais al-Nuri, The Nature of Human Society in Social Anthropology (Baghdad- 1977)
- Suleiman Hazin: Civilization of Egypt, Egyptian Book Authority (Cairo-1995)
- Quibell and Green, Hera Konpolis, London,1952
-Sami Saeed Al-Ahmad and Jamal Rashid: The History of the Ancient Near East (Baghdad-1988)
- Syed Owais: Reading in the Encyclopedia of Egyptian Society (Egyptian Book Authority, Cairo- 2001)
-Salim Hassan: Encyclopedia of Ancient Egypt (Cairo, 2000)
- Samir Adib: Encyclopedia of Ancient Egyptian Civilization (Cairo, Dar Al-Arabi-2000)
- Sayed Karim: The Rule and Proverbs in Pharaonic Literature, (Cairo – 1997)
-Sayed Karim: The Mystery of Egypt (Egyptian Book Association, Cairo - 1998)

- Tawfiq Hamad Abdel Gawad: Architecture and the Pharaonic Civilization of Egypt (Anglo-Egyptian Library, Cairo - 1984)
- Walter Emery: Ancient Egypt (First and Second Dynasties), translated by Rashid Mohamed Neuer and Mohamed Ali Kamal El-Din (Dar Al-Nahda Egypt- 2000)
-Wall Durant: A Story of Civilization (Near East), Volume One, Translation: Mohammad Badran, (Beirut, Dar Al-Gel-1988)

Grief and pain in Ancient Egyptian literature

Intisar Naji Abad Zanki
College of Archaeology/University of kufa
Intisarn.alzinkee@uokufa.edu.iq
07813253101

Abstract:

manifestation of grumbling or less a form of a sense of injustice, remained the prevailing literary values in some primitive societies to being a kind of physical damage, while it appears in other societies as a kind of challenge, and so the values prevailing in society and among individuals are a motive to respond to previous experiences and Egyptian society, like the case of other civilized societies, lived situations of internal conflict And the external civilization, which was well expressed by many mythological religious and literary texts, which reflected a pattern of complaint, and reflected a manifestation of pain and pain.

Keywords: pain, Egyptian literature, lamentation.